الأستاذ: قوراري السعيد.
اسم المادة: النص الأدبي القديم(شعر).
الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD
المحاضرة 01: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا .
أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على أولية الشعر الجاهلي بين التاريخ والجغرافيا.
مراحل الدرس:
1/أولية الشعر الجاهلي.
2/بداية الشعر الجاهلي.
3/الشواهد والأدلة على قدم الشعر الجاهلي.
أ- الاكتمال الفني في القصائد والمقطوعات.
ب- أقوال الشعراء انفسهم.
ج- القرآن الكريم.

المحاضرة 01: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا :
أولية الشعر الجاهلي:

تعرضت المسيرة التاريخية لعرب ما قبل الإسلام لحالة من الإنقطاع أو الإنفصام التاريخي في حركة تطورها. لذا فليس من اليسير تحديد بداية العصر الجاهلي الأدبي بصورة يقينية دقيقة. ذلك أن أغلب المصادر التاريخية التي تناولت هذه الحقبة في الدراسة تتجه في معظمها إلى تقسيم عصر الجاهلية إلى قسمين:**1/ العصر القديم أو الجاهلية الأولى . 2/ الجاهلية الثانية قبيل الإسلام** .

ويميل هؤلاء إلى القول أن العصر القديم أو الجاهلية الأولى يمتد من فجر التاريخ إلى القرن الخامس(ق5) الميلادي، والجاهلية الثانية قبيل الإسلام، تمتد نت القرن الخامس المذكور إلى ظهور الإسلام وهي التي جاءنا عنها هذا الكم الأدبي، وهذا الإنقطاع الذي أشرنا إليه بين الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية لم يكن انقطاعا تاما فقد كانت اللغة العربية والشعر العربي خاصة في تلك المرحلة التي لا يزيد عمرها عن مائتي سنة على مستوى راق من التطلع والتقدم، وهذا ما يدفعنا إلى القول ويقتضي بأن وراءها تاريخا طويلا استغرق قرونا عديدة سبقت فترة ما قبل القبل الإسلام شهدت ولادة حضارات متتالية لعل أهمها حضارة **سبأ** وكان موطنها **الجنوب الغربي من جزيرة العرب**. يقول **الأعشى** عن ذلك:

رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ،	إذَا جَاءَهُ مَاؤهُمْ لَمْ يَـــــــرِمْ
فأروى الزّروعَ وأعنابها،	على سعةٍ ماؤهمْ إذْ قسمْ
فَعَاشُوا بِذَلِكَ في غِبْطَةٍ،	فَجَارَ بِهِمْ جَارِفٌ مُنْهَزِمْ
فطارَ القيولُ وقيلاتها،	بيهماءَ فيها سرابٌ يطمْ
فطاروا سراعاً وما يقدرو	نَ منهُ لشربِ صبيٍّ فطمْ[1]

ويبدو أن هذه الدول والحضارات القديمة لم تكن تعني في حس العربي ووجدانه الذي ينتمي إلى الفترة الجاهلية الثانية سوى آثار مطموسة وأطلال مدروسة وظلال باهتة، فإحساسهم بهذا التاريخ شبه غائب وسماعهم عنه يكاد يكون غامضا فلم يستطيعوا الإنتفاع بآثاره سواء في اليمن حيث قامت دول معين، سبأ، حمير، وفي الحجر: ثمود، حيان. وفي البتراء حيث قامت دولة الأنباط .

فإذا ما جئنا لتحديد تاريخ تقريبي لهذا الأدب فإن أول ما يطالعنا بهذا التحديد الذي ذهب إليه **الجاحظ** في نصه المشهور**(أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرئ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء الإسلام ـ خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام) .**

واعتمادا على ما جاء في نص الجاحظ المشار إليه فإن العصر الجاهلي عنده يبدأ قبل الإسلام بـ قرن ونصف قرن أو أبعد من ذلك بقليل وهو تاريخ يعود بنا إلى حدث ضخم شهدته الجزيرة العربية وكان له أثر على حياتها الأدبية و الإجتماعية وهو حرب البسوس، التي دارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب التي استمرت كما يقال أربعين عاما. أظهرت ثلة من الشعراء نهضوا بفن الشعر نهضة قوية فاشتد عوده و اكتمل بناؤه فاستوى على سوقه. حيث ظهرت القصيدة العربية الجاهلية الناضجة المكتملة التي تسيطر عليها مجموعة من التقاليد الفنية.

وإذا كان امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة الذين ذكرهما الجاحظ في نصه السابق هما أو من قصد القصيد وأبدع الشعر الناضج الذي بلغنا، فلا يعقل إذا ما جئنا نحتكم للمنطق و العقل أن يكونا أول الشعراء الجاهليين، لأنهما من اليسير والسهل أن نتصور هذه البداية التامة الناضجة المكتملة هي البداية الأولى التي تحققت فيها الضيغة الفنية التي اصطلح القداماء و النقاد على تسميتها بالقصيدة، والتي تعتمد على الأوزان والقوافي والصور الشعرية والأخيلة المصوغة في لغة فنية منضبطة انضباطا كاملا، كما تتألف من حيث المضمون من أغراض مختلفة يألف الشعراء بينها تأليفا فنيا وفكريا متكاملا فيغدوا العمل في قمة الجمال والبهاء من الوقوف بالأطلال الدارسة إلى الغزل والتشبيب إلى وصف الرحلة وقصص الحيوان ثم موضوع القصيدة الأصلية وليكن فخرا أو هجاء أو رثاء أو...

<u>الشعر الجاهلي</u>: متى بدأ الشعر الجاهلي؟

من الصعب تحديد تاريخ لبدء الشعر الجاهلي. و أقدم ما وصل إلينا منه لا يتجاوز تاريخه مائة وثلاثين عاما قبل الهجرة.

ومن المعلوم أن كل علم أو فن يبدأ-عادة- بمحاولات ناقصة، ترقى وتتم على مر الزمان. والشعر الجاهلي الذي وصل إلينا كاملا في أوزانه، راق في تغييره ومعانيه. فلا بد أن يكون قد سبقه أقوال من الشعر أقل مرتبة. ثم أخذت ترقى حتى كانت القصائد والمعلقات التي وصلت إلينا، وقد كان أغلب الشعراء المشهورين في هذا العصر من الشمال، أو من أصل يمني رحل إلى الشمال مثل امرئ القيس، حاتم الطائي.

وما دامت طبيعة الحياة وقوانين الكون تفرض في كل أمر أو فن مرحلة أولى بدائية تتدرج الأيام مع السنين بل ومع القرون نحو الرقي والتقدم حتى يصير إلى درجة التمام والكمال وخذا أمر معقول ومنطقي، لأننا لو دققنا النظر في أقدم ما تتأرجح صحته لدى النقاد والرواة، ولو أدمنا الملاحظة لوجدنا أن عمر الشعر الجاهلي وبدايتهالحقيقية ليست وليدة الفطرة التي أشار إليها الجتحظ والذي يرى أن العصر الجاهلي يبدأ قبل الإسلام بقرن ونصف قرن وإنما هي قديمة وقديمة جدا، وما ينهض شاهدا ودليلا وبرهانا على قدم الشعر مايلي:

1-الإكتمال الفني في القصائد والمقطوعات: إن هذا النضج في التعبير والدقة والتنظيم في العرض والفن والجمال تؤكد جميعها بأن هذا الشعر الجاهلي عاش بكل تأكيد مرحلة طويلة قبل أن يصل إلى مرحلة الجاهلية المعروفة ولو أن الجاهلية عاشت مرحلة التدوين والكتابة قوية صادقة لعرفنا شعراء ربما يكونون أسبق من فاطمة أو عنيزة أو أخو كليب[1] .

2-اقوال الشعراء أنفسهم: صدر عن هؤلاء الشعراء الجاهليين انفسهم ممن بلغنا شعرهم أبيات تثبت أنهم كانوا يسيرون على منهج القدماء السابق لهم وينسجون على منوالهم. فهذا أمرؤ القيس الذي يعتبره الكثير أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى في بيت واحد مشهور يؤكد ما ذهبنا إليه بقوله :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام[2]

فمن يكون ابن حذام هذا؟ وأين شعره؟ ومتى عاش؟ وأين كان ملتجأه؟ ولماذا جاء ذكره هكذا وبكل بساطة على لسان امرئ القيس؟ اكان مشهورا في عصره ؟ .

هي أسئلة تطرح نفسها في انتظار الإجابة ذات يوم، والإشارة مثلها وردت أيضا هي الأخرى في رواية **"ابن رشيق"** الذي يذكر فيها أن أمرأ القيس كان راوية لأبي ذؤاد الأيادي يلوذ به شعره ويتوكأ عليه كثيرا، لكن ابن رشيق لم يذكر لنا شيئا عن هذه الأشعار.

ولا إن ذكر امرؤ القيس اسم شاعر فإن أبا الفوارس عنترة يلمح إلى عدد منهم في مطلع قصيدته. يقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[3]

ومعنى البيت كما يفسره الكثير من المفسرين والشراح، هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوه إليه وهل يتهيأ لغيرهم أن يأتي بالجديد .

أما حكيم الجاهلية **" النابغة الذبياني"** فيصرح بقوله:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا[1]

فهذه الإشارات وغيرها تذهب كدليل على قدم الشعر واتساع أفقه، وأن ناظميه الأوائل أسبق من أولئك الذين ذكرهم الجاحظ في نصه.

3-القرآن الكريم: معجزة الرسول(ص) نزل على قوم برعوا في بيانهم وتألقوا في فصاحتهم وأجادوا في نظمهم. تحداهم أن يأتوا بصورة من مثله. بل آية. ولو كان بعضهم لبعض ظهيرة. فيه أدلة وآيات وشواهد تنزه القرآن على أن يكون شعرا وتنفي الشاعرية عن الرسول(ص) وتدل في الوقت نفسه على أن العرب شعراء والشعر ديوان العرب.